المثقف
خليصة برهوشي
على أجنحة
الغياب

على أجنحة الغيـاب

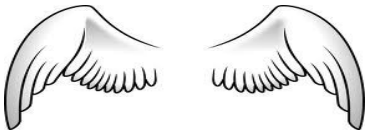

الطبعة الأولى 1444 هـ - 2022 م
(ISBN) : 978-9931-13-690- 3
الإيداع القانوني: 2022/09

اسم العمـــل: على أجنحة الغياب
اسم المؤلــف (ة): خليصـة برهوشي
تصميم الغلاف: زكرياء رقـــاب
إخـــــراج: أحمد منصــوري
المدير العــام / سميرة منصوري

الناشر/ دار المثقف للنشر الجزائر
صفحة الدار على موقع فيسبــوك:
/https://www.facebook.com/elmothakaf
الموقع الإلكترونــي: www.elmmothakef.com
هاتـف / فاكس 79 47 80 033 / 79 90 21 0773
واتساب/86 73 49 0675
مقر الدار: Rue Ben flis- impasse kalenge- batna

المثقف للنشر والتوزيع

جميـع حقـوق النشـر الورقـي و الإلكترونـي والمرئـي والمسـموع محفوظـة للمؤلـف وغيـر مسـموح بتـداول هـذا الكتـاب بالقـص أو النسـخ أو التعديـل إلا بـإذن مـن الناشـر.
©

خليصة برهوشي

على أجنحة الغياب

المثقف
للنشر والتوزيع

الإهـــــــداء

*إلى نَبْـضِ رُوحِي و قَلْبِـي و البَلْسَـمِ الشَّـافِي لِجِرَاحِي

-*أُخْتِـي غَـالِيَتِـي* رَحِمَهَـا الله بِرَحمَتِه الواسِـعة و أسْـكَنَها جنَّات الفِردَوسِ الأعلى

*إلى من قَـال فيهِما المَـولَى عزَّ و جلَّ

{وَقَضَـى رَبُّـكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّـاهُ وَبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَـانًا}

-إلى مَنبَعِ الحَنـانِ و الطِّيبَـة *أُمّـي غَـالِيَتِي* رحِمَهَـا الله و أسـكَنَها جنَّـات الفردَوسِ الأعلى.

-إلى الّذي ابتـدأ مِنْـهُ اِسْمِي و فَخْـرِي *أَبِي اَلْغَالِي* رحِمَهُ الله و أَسْـكَنَهُ جنَّـات الفِردَوسِ الأعلى.

▪مقدّمـــــــة:

كُنتُ دائِمًا أجلِسُ في مُعتَزِلي الحزين الّذي اتّخَذتُه لِنَفسِي بعد غِيَابِ أحبَّاءِ قلبي، فَهُم كَانُوا للقلبِ أقربَ من الوتين، كَانُوا طُوفَانًا يَجرِفُونَ أمامهم كُلَّ أشْجَار أحزَانِي وآلَامِي وآهَاتِي وكُلَّ جَلَامِيدَ الهَمّ، وفِي شَفَقِ ذاتِ مَسَاء أحسَسْتُ بِغصَّةٍ كَبِيرة في حَلقي، لا الدُّموعُ ولا الحَسَرات استطاعتْ تخفِيفَ مَا أَشعُرُ بِه من شَجنٍ لغيابِ أحِبَّتِي، فَصَنَعتُ أجنِحَةً لِدُمُوعِي جَعَلتنِي أحلِّقُ عَاليًا وأُحضِرُ من روحي التَّائهة حُروفًا مُختَلِفة لِتُزِيلَ عنِّي بعضًا مِنَ الحُزنِ لِرَحِيل الغَوَال.

▪ فهذه:

*أمِّي الغَالِية - زَعرَة -*رحمها الله: الّتي مرَّ على غيابِها اثنانِ وعشرون عَامًا، رَوَتنِي من جَدوَلِ حَنَانِها لكنَّها رحَلَتْ واحتضَنَهَا التُّرَاب ولَم أَرتَوِ العَيشَ بِهَا مُدَّةً طَوِيلَة، فأسألُ الله تَعَالَى لَهَا جنَّاتِ الفِردَوسِ الأعلَى نُزُلًا والنَّظَرِ إلى وجهِهِ الكَرِيم.

▪ وذاك:

*أَبي الغالي - مُحَمَّد -*رحِمهُ الله: الّذي مرَّ على غِيابِهِ سَبعُ سنواتٍ، كم أتذكّرُ حِين كانَ يُهَاجِرُ من دُنيا البَلاءِ والمَلَذَّاتِ ويَذهَبُ لِمُناجَاةِ ربِّهِ وقراءة القرآنِ الكَرِيمِ، أسأل الله أن يرحَمَهُ برَحمَتِهِ الوَاسِعَة ويُسكِنَهُ فَسِيحَ الجنَّات.

▪ وتلك:

نبضُ رُوحِي وقَلبِي أُخْتِي غَالِيَتِي – عَلْجِيَة - رحِمها الله التِّي مرَّ على غِيَابِها عشرة أشهُر وإحدى عشرة يومًا: مَلَاكِي الطَّاهِر، أمُّ الجَمِيع أُمًّا لِي ولِأَخَوَاتِي ولِأَخْوَانِي حَبِيبَتِي وَمَنَارَتِي التِّي أَكرَمَتْنَا وَرَبَّتْنَا وَرَعَتنَا حَتَّى آخِرِ لَحْظَةٍ فِي حياتها أسأل اللّٰهَ أَنْ يَرحَمَهَا بِرَحمَتِهِ التِّي وَسِعَتْ كُلَّ شَيءٍ وَيُسْكِنَهَا الفِردَوسِ الأعلَى مِنَ الجَنَّةِ.

فَدُعَائِي لله عَزَّ وجَلَّ أَنْ يَغْفِرَ لَهُمْ ذُنُوبَهُم وَيُنِيرَ قُبُورَهُم ويَروِيهِم وَيَسقِيهِم بِفَيضٍ مِن جَنَّتِه وَأَنْ يَجعَلَهُم فِي نَعِيمٍ لَا يَنفَد وأُنْسٍ لَا يَنضَب، وَهَنَاءٍ لَا يَنْقَطِعُ وَيَجعَل مِيعَادَنَا بِهِم بِجَنَّاتِ الفِردَوسِ الأعْلَى.

.مَا أَصعَبَ الغِيَاب....وَمَا أصعَبَ الفِرَاق....ومَا أَصعَبَ الرَّحِيل

لَكِن أَنْهَارُ الطُّمَأنِينَة تَنْسَكِبُ فِي رِوَاقِ القَلبِ حِينَ أَتَذَكَّرُ قَولَهُ عزَّ وجلَّ في كِتَابِه العَزِيز :{ *25*كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ*26*وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلَالِ والإِكْرَامِ*27*} – سورة الرَّحمن –

ويَبْقَى فَضَاءُ الارْتِيَاحِ أَمَلُ اللِّقَاء فِي جَنَّة الفِردَوسِ الأَعْلَى، وهَذَا الكِتَابُ الّذِي بَيْنَ أَيدِيكُم أَعِزّائِي القُرَّاء هُوَ عِبَارَة عَنْ قَطَراتِ رِثَاء لأُخْتِي غَالِيَتِي ولِوَالِدِيَّ الغَالِيين، قَطَراتٌ كتَبتُها فِي قَالب قَصَائِد نَثْرِيَة وذلك وفَاءً لأَحِبَّاءِ قَلبِي الرَّاحِلِين عن دنيا الفَنَاء والتَّذكِير بِمحاسِنهِم وسَجَايَاهِم بِهَدَف إبْقاء ذِكرَاهم عَلى مرِّ السِّنِين.

♥ فرَحِمَ اللّٰه أَحِبَّاءَ قَلبِـــــي وأَحِبَّاءَ قُلوبِكُـــــم.♥

يا تابوتُ تمَهَّل

أيُّهَا التَّابُوتُ تَمَهَّلْ

هُنَاكَ دِمَاءٌ تَنْزِفُ فِي الأَعْمَاق

وفُؤَادٌ قَد تَمَزَّقْ

وقَلبٌ قَدْ انْفطَر

ورُوحٌ قَد جُرِحَت

وَجَوَارِحُ قَد شُلَّتْ

أيُّهَا التَّابُوتُ رُوَيدًا

لَا تَحْمِلْ أحِبَّائِي

لَا تَأْخُذْ وُرُودِي

لا تُطفِئ نُورِي

لَا تَكْسِر أَجنِحَتِي

لَا تَأذَنْ لِي بِأَحزَانٍ فَاجِرَة

أَيُّهَا التّابُوتُ تَمَهَّلْ

لَا تُغْرِزْ كُلَّ خَنَاجِرِكَ فِي صَدْرِي دُفْعَةً وَاحِدَة

لَا تُلْبِسْنِي ثَوْبَ الأَوْجَاعِ

وَارْحَمْ قَلْبًا بَاتَ مَسْرَحًا لِلأَحزَانِ

دَعْ أحِبَّاءَ قَلبِي

تَمَهَّل فِي حَملِهِم

فَقَدْ امْتَزَجَ الحُزْنُ بِالحُزنِ

والدَّمْعُ بالدَّمْعِ

والغَصَّةُ بِالغَصَّةِ

والحِدادُ بِالحِدَادِ

واخْتَلَطَ الدَّيْجُورُ بِالسَّوَادِ

واليَأسُ بِالقُبُورِ

أيُّهَا التَّابُوتُ تَمَهَّل

دَعْ قَلبِي ينْشِدُ أُنْشُودَةَ البُكَاء

والرُّوح تُغرِّدُ تَغْرِيدَةَ الشَّجَن

دَعْنِي أَكْتُبُ وَصِيَتِي

وَأُقِيسُ كَفَنِي

وأمْتَطِيكَ لأصْحَبَ أَحِبَّاءَ قَلبِي

فَلا بَقَاءَ لِي بَعْدَ غِيَابِ الأحِبَّة

أيُّهَا التَّابُوتُ تَمَهَّل

دَعْنِي أَرْمُقُ نَاظِرِي بِأنْوَارِ حَيَاتِي

فَقَدِ انْحَنَى سَقْفُ السَّمَاء

لِيُلَامِسَ الأَرْضَ مِنْ فَاجِعَةِ المَوْت

تَمَهَّلْ وَدَعْ قَلبِي يَنْعِي فُقَدَاءَ العَيْن والقَلْب.

اِسْأَلُوا الآهَاتِ

اِسْأَلُوا الآهَات الّتِي تَخْنُقُ عَبَرَاتِي
والدُّمُوعَ الَّتِي تَحَجَّرَتْ فِي المَآقِي
واللَّيلَ الَّذي يُرهِقُ ناظِرِي
والأيامَ التِّي تَعبَثُ بِي
اسْأَلُوا الظَّلَامَ الّذِي خَيَّمَ عَلَى قَلْبِي
وَكَفِّي المُرَصَّع بِالدُّعَاءِ
وَلِسَانِي الّذِي لَا يَنْطِقُ إِلَّا بِأَسْمَائِهِم
اِسْأَلُوا حُزْنَ فُؤَادِي الأَبَدِيّ لِغِيَابِ الأَحِبَّة
واللَّواعِجَ التِّي فِي جَوَارِحِي
اِسْأَلُوا اِسْأَلُوا اِسْأَلُوا
فَجَسَدِي صَارَ تَوَابِيتًا
وَأَضْلُعِي نَعْشٌ
وَفُؤَادِي دَمٌ
اسْأَلُوا فَصَوتِي زَفِيرٌ يُدَوِّي الأَرْضَ
وأشْجَانِي تَبْلُغُ قِمَمَ الجِبَالِ وَأَعْمَاقَ البِحَارِ

الحنين

يَسِيلُ الحُزنُ في شراييني كالدَّمِ
فَيَتَغلَّبُ على صَبْرِي
فَيَزدَادُ شَوقِي وحَنِينِي لأحِبَّتي
وَيَصِيرُ فُؤَادِي أسيرًا لِشَجَنٍ قَاتِل
أحَاوِلُ أن أُخَفِّفَ من الحُطَامِ الّذي بِدَاخِلي
وأن ألملِمَ ذَاكَ الرُّكام والدَّمار
لكن
لا جدوى
فَأَتَحوَّرُ وَأَتَكَوَّرُ حوْلَ نَفْسِي البَائِسة
وأُصْبِحُ أَضْلُعًا مُختلفة
تَبحَثُ عن ثَغرَةِ صَبرٍ

عُذرًا أَيُّها العيد

عُذرًا أيُّها العِيد

فَحَلَاوَتك ما عَادَت حَلَاوَة

فَمَذَاقُك مُرٌّ لَو سُكَّرك ذَاب

فعيدي دون أحبّائي

كَعِيدِ السَّجين الّذي مرَّ عيدُه كأيّ يوْمٍ عَادٍ

وكيف لا يَكَونُ عَادِيًا؟

ومنذُ غيَابِكُم لمْ تفَارِقنِي دَمعَةُ العَين

والفؤاد لذِكرَاكُم أُحْرِقَ بنَارِ الحُزن

فعيدُكُم سعيد

لَو عَلى أجسَادِكُمْ تُرابٌ ولَحد

وزادَ اللّٰه بَهجَتَكُم في أجْدَاثِكُم

وبشَّرَكُمْ بجنَّاتِ النَّعيمِ بعدَ كُلِّ آمين

ينطِقُ بها المسلِمونَ في سورةِ الفاتحة

استحالة

استحالة نسيان أحبّاءِ قلبي
فكيف أنْسَى يومًا ملامحَهُم
وفي مَلَامِحِهِم عُمري وسَعادَتِي الّتي رحَلَت
آهٍ
فقد فقَدْتُ طيبَ العَيشِ بَعدَكُم
غِبتُم فَرَأَيتُ الأَرضَ بَيدَاءَ مُوحشَة
دِيارٌ مَهجُورَة كَأنَّني ما أَلِفتُها
لَم أجد من بَعدِكُم عِوضًا
فيا آهٍ وَألفُ آهٍ
بل الآهُ بلا نِهاية
فالدُّنيا ليسَت بِبَهِيةٍ من بَعدِكُم
ولا نَافِعَة
فقد ضاقَت بيَ الأرضَ وَهِيَ شَاسِعَة
رغمَ مَلء النَّاسِ بِها
أحبَّاءُ قلبي
مَالِي والحَيَاة بعدَكُم
فالحَيَاة أنْتُم مَعنَاهَا
فأنزَلَكُم اللّه جنَّتَه
وَرَحِمَكُم بِرَحمَتِه الوَاسِعَة

على مَركَبِ الحزنِ

يا قُبطَانَ المَوت

أنزِلنِي بِمَرافِئِ القُبُورِ

فلَم يَعُدْ هُنَاكَ حَدِيث

كانت الرِّحلَة قَصِيرَة مَعَ الغوالي

وأنَا ملَلْتُ رُكُوبَ هذا المَركَب

والمِيَاهَ الزَّرقَاءَ المُحِيطَة بِي

مَلَلْتُ انشِغَالَكَ عَنِّي أيُّها القبطان

واهتِمَامَكَ بالآخَرين

وحَملِهِم مَعَكَ كُلَّ يوم

مَلَلْتُ مُراقَبَتَك وانتظارَك

في حِين ضَاقَت بِي السَّفِينَة

ألا تأخُذُني معك؟

لماذا تترُكُنِي في كُلِّ ميناءِ حُزن وحِيدَة

تَغِيبُ وتَعُود وتُقِلُّ معك

ثُمَّ ترحلُ وَتَترُكُنِي

أراقِبُ الشُّرُوق والغُروب وَحدي

آهٍ يا قبطان

لقَدْ أَبحَرْتُ مع أحِبَّاءِ قلبِي

في بَحرِ الحَيَاة

لكنَّهُم غَابُوا

ولم يبقَ سِوى أنا وحُزني

ومِيَاهُ البَحرِ اَلمَالِحة

وشَوقِي المالِح إلَيكَ يا قُبطان

هكذا هو الموت

هَكَذا هُو المَوت

يأخُذُ مِنِّي أحبَّتِي

ويَترُكُني رمادًا

أقف أمَام أشْجَانِي الكَثِيرة

أُصَارِعُ الأوجَاعَ الّتي أَضْنَتنِي

وأختَلِسُ النّومَ من أجفَانِي

أنا الكَأسُ الّذي رشِفْتَ منه يا مَوْت

حتى كَسِرتَهُ وجَعَلتَهُ فُتَاتًا

هكَذا هُوَ المَوت

حقٌّ مفرُوض

ومرَارَةٌ تسكُنُ الوجدانَ والشّرايين

وديجورٌ بعد شُرُوق

دُمُوع

حَسرَة

لوعَةُ شَوق

هكذا هو الموت

يغتَالُنِي

يَجتاحُنِي ويقْتُل الزَمَانَ بعَينِي

ويجعلُني أمشِي وَأنَا أسيرةُ الذِكرَيَات

ذِكرياتُ أحبَّاءِ قَلبِي

هكذا هو المَوت

يَجعلُني أمْضِي في هَذه الدُّنيَا

وفي مُقلَتِي دمُوعٌ حَارِقَةٌ نازِفَة

إنَّه الموتُ وَمَا أعْظَمَه

إنَّه كشراراتِ نَار

خلَّف حُرقةً في القلب

وغيَّب أحبَّاءَ قلبي

وتَرَكنِي رَمادًا

حَقيبَة الذِّكرَيَات

أَيُّ آمَال

وَأَيُّ أحْلَامٍ

تُرِكَت بَعدَكم

غِبتُم

وَأَخَذْتُم جَميعَ فُصُولِي

وقَلبِي النَّابِض

وتَرَكتُم لِي دُنيا

لا أتَذَوّقُ لَهَا طُعْمًا

إنَّها لَوحَةٌ بلا ألوَان

وملامِحٌ

وصُورٌ

وذِكريات

وحُرُوف

وكَلِمات في ذِهنِي رَاسِخَة

لم يَعُد للدُّنيا مَعنَى فِي غِيابِكُم

فماذا سأفعَلُ بها

أنتُم أخَذتُم العَالَم بأكمَلِه

وترَكتُمُونِي عَلى حَافَّةِ السَّمَاء معلّقة

ألا تَرَونَ

ألا تَرَون
أنَّني أُصَارِعُ دَمعَةً في مُقلَتِي
وألَملِمُ أشلائِي
ألا تَرَونَ
أنَّني أمُوتُ
والقَلبُ لايَزَالُ ينبُض
ألَا تَرَونَ
صَيحَةَ الحُزنِ العَميقَة في رُوحِي
وأنَّ بعضي يأكُلُ بَعضِي
يَبحثُ عن ثَغرةِ صَبْرٍ
ألا تَرَونَ
أنّني ضيَّعتُ جميع أحلَامي
وأَنَّ أوراقَ الخريفِ تُنْعِينِي لغيابِ الأحبَّة
ألا تَرَونَ
أنَّني امرأةٌ من لَهَبٍ
فلَهَبُ الحُزنِ وقَّادٌ في قلبي
ألا ترونَ
أنّني جمرَةٌ مِن أسَى
يُخمِدُها لِقاءُ الأحبَّة في الجنانِ العُلى.

كُلُّهُم غَابُوا

كُلُّهُم غَابُوا

وبَقِي سِوَى حُزنِي الّذي يُرثِي حَالي

أسْتَرجِعُ الأيّام الخَالِية

وَحَديثٌ للغَوَالي

غابُوا

وَكُلُّهُم نثَرُوا على بُستَانِ حَيَاتِي فَرحَة

وَتَرَكُوا أشواقًا كالصُّخُور

وحَنينًا كالجِبال

غَابُوا

وما بعد الغِياب

كُلُّ الطُرق أغْلِقَت

والشَّمسُ ما عادت تدفئ

غَابُوا

واختفتِ المَجَرّات والكَوَاكِب

غَابُوا

فأصْبَحتُ أنامُ وأصْحُو بِمَلَل

لا مَذَاقَ للدُّنيا

غَابُوا

ويَمُرُّ الوقتُ شوقًا وانتظَارًا

إلى حِينِ عُبُورِ هذا الطّريق

ولِقائهُم في ظلٍّ ظَلِيل.

جِراحُ قلبي لا تَطيبُ

جِراحُ قلبي لا تَطِيب

هَكَذا هوَ القدَر

كيفَ أمْضي دونَكُم

أيُّها الغوالي

فَدونَكُم قلبِي يَشِيب

لَستُ أدري مَاذا أفعَل؟

فالغِيابُ يرسُم لوحتَه الحزينة

والشَّجنُ الرّهيب طَغَى عَلَى قَلبِي

فَبَدأتْ نَفْسِي بالسُّؤال

لكن

نفسُ النّتيجة

الفؤادُ يبكي

والرّوحُ تَنزِف

هَكَذَا هُو القَدَر

فشُكرًا لكَ أيُّها الزَّمان العَجِيب

إنَّما شُكْرًا وشكرًا تملأ الكَون الرَّحيب.

سألوني

سَأَلُونِي

كَيفَ لَم تَنْسَي أحبَّتَك؟

والزَّمان قد طَال

فقُلتُ:حبُّهُم دَينٌ عليّ

والدُّعاء لَهُم برّ

سألوني:

كيف لكِ أن تحزَني طِيلةَ هذه الأيام والسِّنين؟

فقُلتُ:

أينَ العقلُ الذي يَسْعَد

والقلبُ الذي يَفرَح؟

نعم

أحِبَّتي ليس أوَّل من دَعسَ لُغمَ المنيَّة

فكلُّ النَّاس للُّغمِ دَعسُوا

آهٍ

ما أظلمَكُم يا بشر بِسُؤالِكم هذا

فأنا من فَارقَتْ روحُها جَسَدَها

ثلاثَ مرَّات

نحنُ كنَّا روحًا في ثلاثِ أبدان

ثُمَّ صِرنَا جثّةً في كَفَن

آهٍ يا بشر

فالفقدُ حُرقَة

تَحرقُ القلبَ والرُّوح

فكَيفَ لا أحزَن؟

وأنا شرِبتُ من كأسِ المنيَّة جُرُعاتٍ حتّى ارتَوَيت

فكيف لا أحزَن

فالحُزنُ والبكاءُ بعدَهم صَارَ مَحتُومًا

أرَاكُم

أراكُم في بسْمَةِ الأزهَارِ
في سَنَا النُّجُومِ
في أشعّةِ الشَّمسِ الفَاتِنَة
في كلِّ مشهدٍ من مشَاهِدِ الحَيَاة
وفي قطَرَاتِ الغيثِ الطَّاهِرة
أراكُم
في كُلِّ آيةٍ قرآنية أقرأُها
في شرُوقِ كُلِّ صَبَاح
وفي شفقِ كُلِّ مَسَاء
وفي غَياهِبِ اللَّيلِ الطَّوِيل
أحِبَّاءُ قلبي
سَيطَرَت عليَّ الأحزَان
وطَغَت على أيّامي الذِّكرَيَات
ذِكرياتُ الأيَام العَذبَة
أيَامٌ لم يبقَ منها سِوَى العَلقمُ والألَم
نعم
لَقَد تَوَارَى فَرَحُ المَاضِي الجَمِيل

وراءَ ضَبابِ الشَّجن والأسى

ولوعةِ الغياب

ولم يبقَ لي إلَّا قلبٌ منْتَحِبٌ عَليلٌ

ونَفْسٌ مُعذبةٌ بائِسَة

مُختَلِجةٌ بين حلاوةِ الأمس

وحَنظَل اليوم

والآن

وقَد اختَفت أفراحُ الأيام

وتَطَايَرت أحلامُ السَّعادة

كما تتطايرُ الأوراقُ منَ الأغْصَانِ

تَارِكَةً على القلبِ سِوى فَيْءٍ ضَئِيل

لأيّامٍ بهِيَّةٍ قصِّية

أيامٌ

اسْتَتَرَتْ وراء أجْنِحَةِ الغِيَاب

لِتَجعَلَ نَفسِي تَرسُو على شَاطِئِ الشَّجوِ

حيثُ تَتَصَبَّبُ أوجاعُ روحِي بِصَمْتٍ على البحرِ الأخرَس

أين يتَرَدَّدُ همسُ الكَمَدِ الأبديّ

في أعماقِ الصَّمت

هُنالِكَ تَقف مُهجَتي الحَزِينة

صَارخَةً من الألمِ

أيُّها الفؤادُ الخَافِقُ بِتَأوّهاتِ الجِراحِ المُنسَحقِ من الشَّجَن والغَمِّ

المُتَراقِصَةُ شَراييِنُه في ضَوضَاءِ الحَياة

والمُضطَرِبَة أمواجُه في الدَّهر الحَزِين

هيَّا ألقِ بِتِلكَ الأمواجِ المُختَلِجَة

فلَيسَ لكَ أن تصرُخ

فإلَى مَتى وأنتَ تَستَغيث صَبْرًا

وقد خيَّمَتِ العَتمَة عَلى الْكَون

وأصْبَحَ الغِيابُ طويلٌ قاسٍ

ويا أيَّتُها الجذوة المُلتَهِبَة

في صَدرِي

ألا تَخمُدِين

أم أَنَّكِ تَنتَظرِين حتّى يعزِفَ الفؤاد سيمفُونية اللِّقاء الأبديّ مع الأحبَّة

لِقاءٌ مُكلَّلٌ بِأكالِيلِ رَوضَات الجَنّةِ.

البقاءُ بعدَكُم مُحال

يا مُقْلَةً اسكُبي دمعَةً وشَجَنًا

ويا صَدر أخْرِجْ ما فِيكَ من غصَّات

ويا فُؤَادُ تضرَّم بالنِّيران

ويا رُوح اكتَظِّي بالآلام

فالأحِبَّةُ قد أُدْرِجُوا في الأكفانِ

وَوُضِعُوا في التَّوابيت

غَابَ أحِبَّاءُ قَلبِي

ياحُزنِي لِغِيابِهِم

لا بقَاءَ لي في الدُّنيا

لا واللّه فبقَائِي بَعدَهُم مُحَال

فكيفَ يبقَى ضِلْعٌ مُنفَصِلٌ عن أضلَاعِه

فإلى اللّه أشكو بَثِّي

لِفَقْدِ أحِبّةٍ

فَهُمْ كُلُّ النَّاسِ

والكَونُ بِأكمَلِهِ

فَرَوحٌ وَرَيحَان وجنَّات نَعيم لأرواحِهِم.

انْطَفَأَت شُمُوعُ الزَّوَايَا

غَابَ أحِبَّاءُ قَلبِي
وزَارَنِي الشَّجْوُ مِن كُلِّ مكَان
هَجَرَ الحُبُّ مقَاعِدَهُ
وانطَفَأَتْ شُمُوعُ الزَّوايَا
تَكَدَّس الأسَى فِي الأَوْرِدَة
وصَارَتْ وَجْبَتِي الوَحِيدَة الدُّمُوع
حِينَ غَابَ الأحِبَّة
خُبِّئَت سَجَاجِيدُ الصَّلاة
وأصبَحَت تَئِنُّ مِنَ الوِحدَة
مُشْتَاقةٌ لعِناقِ أَرواحِها
حين غَابَ الأحِبَّة
القَلْبُ يَكَادُ يَخْتَنِق
والنَّارُ المُنطَفِئَة تَسعَّرَت في الحَنَايَا
والصَّمتُ سَادَ أرْجاءَ قَلْبِي
حين غاب الأحِبَّة
أصْبَحَت أَيَامِي عَذَابَات

ورُوحِي أصبَحت أرضٌ قاحِلة

وصارَت المقَبَرة روضَةً مِن رِيَاضِ الجنّة

ومنزِلي أشبَهُ بالجَحِيم

عُدْ بِي يَا زَمَن

عُدْ بِي يَا زَمَن

عُد بِي للأَيَّام البَهيَّة

ودِفْءِ الأحضَان

عُد بِي

فقد رَمَيتَ قَلبِي فِي جفُونِ الأحزَان

ولَم أَعُد أحْتَمل

فَبَعدكِ أيَّتُها الأيّام

ضَاعَت كُلُّ آمالِي

عُد بي

لأيَّامِ الغوَالي

فمنذُ رحِيلِهِم

والرُّوحُ في مَرمَى الحَنِينِ مَرمِية

وفي بُحُورِ الشَّوقِ تَاهَت

آهٍ

منْكِ أيَّتُها الأيام

تَرَكتِني وراء ضَبَابِ الأشجان

إنَّه ظَلامٌ مُخِيف بِلَحَظَاتٍ رَهِيبة

عُد بي يا زَمَن

فقَدْ مَلَلتُ الجُلُوسَ وحدي

دُون أحِبَّتي

وقَتَلَنِي الحُزنُ الثَّقيل

وقلبي احتَرَق

وصار رَمَادًا

وجَسَدي في يمِّ الأحزانِ غَرَق

وأحبَابي بالتُّراب صَارُوا

آهٍ يا زمن

فقد سَكَبَت مُقلَتي دَمْعًا حتّى جفَّت

ماذا فَعَلْتَ بي أيُّها الزّمن

فما خلَّفتَهُ من حُطَامٍ

دمَّر كياني

لكنَّني سأُقَاوِم

إلى آخرِ لحظةٍ من حيَاتي

فشُرُوقًا وغُروبًا

ليلًا

ونَهارًا

دُعَائِي لَن يَنْقَطِعَ لأحبابِي

فَجَزَاهُم اللّه عَنِّي خيرَ الجزاءِ وَجَمَعَنِي بِهِم بِجَنَّاتِ وأنهَار

عذَابَات الغِيَاب

شَوقِي لِأُمِّي أضْنَانِي

ورَحِيلُ أَبِي جَفَا النَّومَ مِن عَينِي

وغِيَابُ أُخْتِي نَارٌ فِي الفُؤَادِ تُسَعَّرُ

غابَ الأحبَّة

فكيفَ أعتادُ غِيَابَهُم

وَقَلْبِي يُدْمِيهِ الوجَع

كيف أعتَادُ فراغَ مَقَاعِدِهِم

وسُكُونَ أصواتِهِم

غابَ الأحبَّة

والرُّوحُ تُنَادِيهِم

والدَّمْعُ لِفُرقَتِهِم سيَّال

غابَ الأحبّة

وبَابُ الحنينِ قَدْ فُتِحَ ليجْلِدَنِي

ومن خَاصِرَةِ الغيَابِ تتَوَسَّدُ رُوحِي

غابَ الأحبَّة وتَرَكُونِي بينَ العَذابَات

ترَكُونِي للشَّقَا واستراحُوا بين أحْضَانِ التُّراب

حيثُ لَا جُورَ ولَا كَذِب

غابَ الأحبَّة

وَرَاحُوا من غَيرِ إيَّابٍ

فاخْتَفَت ابتِسَامَاتِي تحْتَ سِتَار الغيابِ

وأشواكُ الأسَى تُوقِدُ الأوجَاعَ في قَلبي المُذَاب

غَابَ الأحبَّة

فكيف أنساهُم

وذِكرَاهُم في كُلِّ لحظَاتِ حَيَاتِي

غابَ الأحبّة

وها أنا عنْدَ قُبُورِهِم

أُرثيهِم

وفي عُمْقِ كَلِمَاتِي حُزنِي وانْتِحَابِي

فَنَامُوا يا أحِبَّاءَ قلبي آمِنِينَ في أجْدَاثِكُم

وَرَوحٌ ورَيحَانٌ وجَنَّاتُ الفِردَوسِ نُزُلًا

غابَ أحِبَّاءُ قلبِي تحتَ الثَّرى

غابَ أحِبّاءُ قلبي تَحتَ الثَّرى

وإنَّ في الصَّدْرِ مِنْ غِيَابِهِم شُجُونًا

وإنِّي من رَحِيلِهِم ذُقْتُ منَ الصَّبَابَةِ مَا كَفَانِي

فارْتَوِ يا قَلبي مِن كَأسِ المَنيَّةِ

ارْتَوِ

وَذُوبِي يا رُوحِي

ذُوبِي

فَمَن غَابُوا حُبُّهُم لا يُنْقِصُهُ بُعْد

إنَّهُم أعْمَقُ منِّي في روحي

في مَكَانٍ لا يَزُورُهُ إنسَانٌ ولا نِسْيَان

غابَ أحِبَّاءُ قَلبي تحتَ الثَّرى

وَشَوقِي إلَيهِم احتِيَاجٌ لا ينْضَب

وأسماؤُهُم بين أدْعِيَتِي

كأطيَافِهِم الَّتِي لم تَغِب

وذِكراهُم ما بينَ الصَّلاةِ إلى الصّلاة

آهٍ على الغوال

فهُم حَدِيثُ نَفْسِي والعَلَن

ويا آهٍ وألفُ آهٍ

على سفَرِهِم المَحتُوم

فَجَزَاهُم اللهُ عَنِّي خَيرَ الجَزَاءِ

وأعْلَمُ أنَّهُ قَدْ جَزَاهُم

فيا قُبُورَ الأَحِبَّة سقَاكُم اللّهُ نُورًا وضِيَاءً وفُسحَةً وسُرُورًا.

الحبُّ شيءٌ غريبٌ بعْدَكُم

لَا حَيَاة

لَا فَرَح

لَا سُرُور

بَعدَكُم

كيفَ يَكُونُ الفَرَح؟

وقد عِشْتُ أيّامَ وسِنِينَ غيَابِكُم مُرتَجِفَةَ الوُجْدان

والفؤادُ بالأشجانِ احترَق

صِرْتُ أبْحِرُ في بحْرِ الشَّوقِ تارةً

وفِي بَحْرِ الحَنِين تَارَةً أُخْرَى

أحبّتي

الحُبُّ بَعْدَكُم شَيءٌ غَريب

فأنَا قَد عِشْتُ كالفَرَاشَةِ بِلَا رَفِيقَة

وَأَنْشَدْتُ مِن أَحْزَانِ الحَيَاةِ قَصِيدَة

وَجَعَلْتُ مِنْ قَصِيدَتِي الصَّدِيقَة

آهٍ

أيّامٌ وسِنِين على غِيَابِكُم

وفُؤَادِي لا يَزَالُ يَتَأَوَّهُ بِالأَشْجَانِ

حتَّى غَدَا صَخْرًا

وَهَا أنَا أعِيشُ كالغَريبَةِ في بَحْرِ الحياةِ

مَاضِيةٌ وَأَنَا أُعَانِقُ الجِرَاحَ

حاولتُ أنْ أمتَطِي زَوْرَقَ الصَّبْرِ

فَغَرِقْتُ في بحْرِ الأحْزَان.

أيُّ صَبْرٍ

أيُّ صَبْرٍ
وكُلُّ عَامٍ تَعُودُ لِي الذِّكْرَى
وَجِرَاحُ قَلْبِي تَنْزِف
أيُّ خَرِيفٍ
وأيُّ رَبيعٍ
وفِيهِم عُمرِي الَّذي رَاح
والقَدَرُ الَّذي أخْشَاهُ
حَلَّ
فَكَسَرَ ضُلُوعِي
وشَلَّ جَوَارِحِي
أَيُّ يُتْمٍ هذا
وأَيُّ أيَامٍ تِلْك
أيَامٌ وَدَّعْتُ فِيهَا الأحبَّة
وَأَسْلَمْتُ قَلبِي للأنِين
وَرُوحِي للنُّوَاح
وَمُقْلَتِي للدَّمعِ
أيُّ أيَامٍ تِلكَ

فَفِيهَا مِتُّ قَبْلَ مَوْتِي

أيامٌ رَاحَتْ فيهَا

مَلاحِمُ العِزّ

وأسَاطِيرُ الكَرَمِ والجُود

كَيْفَ أُرْثِيكُم بِقَصَائِدِي أيُّها الغَوَالي

وقَصَائِدِي مَكسُورَةُ الأجنِحَة

وَكَيفَ تَحْلُو الحياةُ بَعدَكُم

وَأَنْتُم الحَيَاة

وكَيفَ يَمَّحِي من خَيَالي خَيَالُكُم البَهِيّ

آهٍ

من وجَعِ الغِيَاب ولَوعَتِه

لكن

ليسَ لي غَيرَ اللّه أرجوه بالصّبرِ يَمُدُّني

ولقائكُم في فَسِيحِ الجنَّات

الذِكريَاتُ العالِقة

قَد أَنْسَى حقِيبَتِي

وهَاتِفِي

ونُقُودِي

ومَفَاتِيحِي في الدُّرج

والمِكْواةَ على أفْضَلِ ثِيَابِي وَأغْلَاهَا

لَكِن لَنْ أَنْسَى ذِكْرَيَاتٍ عَالِقَةً في ذِهْنِي

ذِكْرَيَاتُ الغَوَالِي

فَهَذا أَخْطَرُ من لُغْمٍ سَيَنْفَجِرُ تَحْتَ قَدَمِي

وَمِن حَيَوانٍ مُفتَرِس الْتَقَيْتُهُ بالصُّدفَة

لأنَّ نسيان ذِكريات الأحبَّة

دَمَارٌ شامل لِكَيَانِي

وصَارُوخٌ يَقْصِفُ وُجْدَانِي

ويُفتِّتُ فُؤَادِي

ويُشتِّتُ رُوحِي

فالذّكريات أقوى من كُلِّ شيءٍ.

قَطْرَةُ صَبْرٍ

فِي إِحدَى الأَيَامِ

سَقَطَت مِن شَجَرَةِ حَيَاتِي أورَاقُ الفَرَح

ومنذُ ذَاكَ الحين وأنا أبْحَثُ عَنهَا

في الصَّبَاحِ والمَسَاء

والنَّهَارِ واللَّيل

والصَّيْفِ والشِّتاء

والجِبالِ والأدْغَال

والبِحَارِ والوِدْيَان

والكُهُوفِ والسُّجُون

لكن دُونَ جَدْوَى

وفي إحْدَى الأيَّامِ

وَأنَا أسِيرُ في مَمَرَّاتِ الحُزْنِ الأبَدِيّ

سَقَطَ مِنَ السَّمَاءِ شيءٌ

أحسَسْتُ وكَأنَّه قَطرَة

فعلًا

إنَّها قَطرَةٌ

تَسَلَّلَت إلَى قلبي واستَقرَّت فيه

إنَّها قطرَةُ صَبرٍ

فَصَبْرٌ جَمِيل واللّٰهُ المُستَعَان

عَلى فَقدِ أحِبَّةٍ غَابُوا تَحْتَ الثَّرى.

مِهرَجَانَاتُ الوجَع

في أعمَاقِي مِهْرَجَانَاتُ وَجَع
نعَم إنَّه الوَجَع
وأيُّ سكينةٍ وراحَة سَأَنَالُها بعد غِيابِ أحبَّتي
حَيَاتي ظلامٌ في ظَلَام
ثمَّةَ هَمٌّ يتخَبَّطُ في حَنَايَاي
ومَسَامِيرُ حُزْنٍ تُحَاوِلُ اختِرَاقَ وتِينِي
وآلامٌ تَقرَعُ بابَ رُوحي
إنَّها عَظِيمةٌ في أعماقي
وثمَّةَ أنَامِلُ أصَابَها الشَّلَلُ من الشّجوِ
فلَم تَعُد تَخُطُّ وَتُنْقِذُ قلبي
وعَصَافيرُ مغرِّدة تتزاحَمُ حوْلَ بَيْتِي
أيُّ فَجْرٍ عَظِيمٍ ينتَظِرُ فؤادِي
وثمَّةَ ريحٌ صَرصَرٌ يُمزِّقُ رُوحِي ويَنْثُرُها ويُحَطِّم نَوافِذَها
وثمَّة ذِكرَياتٌ وأطلالٌ تَكسُو رُوحِي
فأيُّ دِفءٍ سألقَاهُ بعدَ الأحبَّة

الصَّمت

أَوجَاعٌ صَمتٌ

أَلَمٌ صَمتٌ

مُسْتَشْفَى صَمتٌ

إنْعَاشٌ صَمتٌ

وَفَاة صَمتٌ

عَزَاءٌ صَمتٌ

شَوقٌ صَمتٌ

حَنِينٌ صَمتٌ

صَمتٌ صَمتٌ صَمتٌ

مُرعِبٌ جدًّا

أنَا أغرَقُ فِي بحْرِ آلامِي

وأنا أحترِقُ بالأحزانِ

فيَا أيُّها الشَّجو

يا حُبِّي الأوَّل والأخير

لقَدْ نَفِدَ كُلُّ مَا عِنْدِي

فهَلْ لَكَ أنْ تُهْدِي لِي

كَأسَ صَبْرٍ أرتَوِي به.

سأكتُب

سأكتُبُ عن غِيَاب الأحبَّة

بِالسَّنابِل

بالزُّهورِ

بالرِّياح

بالنَّارِ

بالدَّمِ

بالثَّلجِ

بالتُّرابِ

بالأجنِحة

سأكتُبُ عن ألَمِ الفَقد

عنِ الاحتِضَار

عنِ الموت

حتَّى يَهْطِلُ الصَّبر من قَلَمِي

ويَنثُرَ عبيرَهُ على أورَاقِي.

لا زِلْتُ أَبْكِي

يَا لَيْتَ الزَّمَانَ تَوقَّف

عِنْدَمَا أَسدَلُوا الأَكْفَانَ عَلَى وُجُوهِهِم الطَّاهِرة

لَكِنَّهُ لَم يَتَوَقَّف

وَتَرَكَ

كَسْرًا لَنْ يُجْبَرْ

وَفَقْدًا لَنْ يُعَوَّض

فَهَيْهَاتَ أن أَنْسَى اللَّحظَات الأخِيرَة

فقَدْ كَفَّنُوا قلبِي بَأَكْفَانِهِم وَمَضَينَا

هَيْهَاتَ

أَنْ أَنْسَى منْ كَانُوا الأُنْسَ

والّذِينَ أَسكَنْتُهُم فِي مُهْجَتِي

فَهُم نُورُ عَيْنِي وَالنُّجُوم

أَيَّامٌ

سِنِينٌ

مَرَّت علَى غِيَابِكُم

واللهِ بِلَا مَعْنَى وَ إحْسَاسٍ عِشْتُها

ولَازِلْتُ أَبكِي

غِيَابًا

وَفَقْدًا

وَشَوقًا.

أفْتَقِدُكُم جدًّا

مَلَائِكَتِي النَّائِمِينَ لِسَنَواتٍ
القِطَعُ الغَائِبَةُ عن رُوحي
أفْتَقِدُكُم جدًّا
وكَيْفَ لا أَفْتَقِدُكُم
وَكُلُّ مُرٍّ مَرَّ إلَّا مَرَارَةُ فَقْدِكُم
قَدْ مَرَّت واستَقَرَّت في الوَتِين
فَجَبْرًا يا اللّٰه لِغَصَّة افْتِقَادِي
وَرَأفًا بالفُؤَادِ
فَإنَّ صَدْرِي يَحِنُّ لِأَحِبَّةٍ
قدْ احتَضَنَهُم التُّرَابُ الأسْوَد
فلَو كانَ بَينَنَا
تُرابٌ
أرْضٌ
وَسَمَاءٌ
لا زِلْتُمْ النُّورَ لِدَرْبِي
وَسَأظَلُّ أنتَظِرُ لِقَائِي بِكُم
إلى يَوْمِ يُبْعَثُون
فَاللَّهُمَّ ارحَمهُم واغْفِر لَهُم
واجمَعنِي بِهِم في جنَّات النَّعيم

لَا حُبَّ يَعلُو فَوقَ حُبِّ نَبضِ الرُّوح

في المَاضِيَّاتِ الحَاضِرات الآَتِيَّات

لا حُبَّ يَعْلو فَوْقَ حُبِّ نَبْضِ الرُّوح

رُوحُهَا بَيَاضٌ نَاصِعٌ مُتَدَفِّق

إنَّها وردَةُ قَلبِي

وَرِيْحَانَةُ حَيَاتِي

إنَّها الدُرَّةُ المَصُونَة

إنَّهَا أعْظَمُ امرَأَةٍ فِي الوُجُود

هيَّ أُخْتِي وَلا أَحَدَ يُعَادِلُ حُبَّها

إنَّها فِي الدُّنْيَا رَبِيعٌ

إنَّها الأمَان

هِي قَلبي وقلبِي هِي

أخْتَاه أُخْتَاه أخْتَاه

يَا فَرَاشَتِي الأَبْهَى

ويا سِرَاجًا يُضيءُ عَتمَة حَيَاتِي

مُنْذُ أنْ وُلِدْتُ

طُوِّقْتُ بِحُبِّك

لُمْلِمْتُ بِحُضنِكِ الدَّافئ

الّذي شَذَاهُ يَخْجَلُ منْهُ عِطرُ الياسَمين

أختاه أُختاه أُختَاه

صَوتُكِ مَوكِبٌ مَلائِكِيٌّ

يُوصِلُ أُمْنِيَاتِي للسّمَاءِ دُونَ عَنَاء

وَعَيْنَاكِ سَلَامٌ لِرُوحِي كالسَّنا سَطَعَ

أنتِ نَجاةُ فُؤَادِي من أشجَانِ الحَيَاة

وَأَنْتِ السَّكِينة وسطَ ضَجِيجِ الدُّنيا

بالمُخْتَصَر

أَنتِ سَعَادَة حَيَاتِي

لَكِن سَعَادةٌ رَحَلَت

فَنَجْمَةُ الصُّبحِ العَفِيفَة قَد ودَّعَتْنِي

والحُضْنُ الّذِي أَفْنَى العُمرَ يَضُمُّنِي

بَاتَ تَحْتَ اللَّحْدِ

أُخْتَاه أُخْتَاه أُختَاه

أَخَذَكِ المَوْتُ مِنِّي وَجَعَلَنِي بِلَا مَرفَإ

وودَّعتُ حُلُمِي وَأَمَلِي

غِبْتِ

وَغابَ من بَعْدِكِ الأمَان

غِبْتِ

وغِيَابُكِ لَم يُغَيِّر شَيئًا

فَأنْتِ الكَلام المُرَدَّدُ في جَوْفِ قَلبِي

والرُّوحُ تَنْبُضُ إلّا بِحُضُور ذِكرَاك

فَرَوحٌ ورَيحَان وجنَّات نعيم لكِ غَالِيَتِي

أُخْتِي حُبٌّ لا يَفْنى

أُخْتِي

وَمَنْ غَيْرُ قَلْبِ أُخْتِي يُنْصِت

لِدقَّاتِ قَلبِي ضَجِيجٌ أمْ بِهَا وَجَعٌ

أُخْتِي

حُبٌّ لَا يَفْنَى يَغْمُرُنِي

وَدِفءٌ ليْسَت لَهُ الأَكْوَانُ تَتَّسِعُ

أُخْتِي

وَإنْ طَالَ الغِيَابُ حَبِيبَتِي وَرَفِيقَتِي

أُخْتِي

طَبِيبَةُ أَوجَاعِي وَدَوَاؤُهَا

أُخْتِي

لَا تَكْفِي لَهَا الكَلِمَاتُ

أُخْتِي

وَإنْ هَجَرَ الجَمِيعُ تَبقَى مُتَرَبِّعَةً عَلَى قَلْبِي وَرُوحِي

أُخْتِي

وَإن نَسِيَ الجَمِيعُ أمْرِي

كانَت تُنَاجِي اللهَ في الصَّلَوَاتِ لأجلِي

أُخْتِي

وَإن شبَّ الحُزْنُ بِأَضْلُعِي

أهْدَتْ لِي المَسَرَّات والبَسَمَات

أُخْتِي

وَإنْ شَحَّ الزَّمَان عَلَيّ

جَاءَتْ عَليَّ بِعَظِيمِ الخَيْرَات

أُخْتِي

لِو نَظَمْتُ فِيهَا أَجْمَلَ الأَبْيَات

مَازِلْتُ ظِلًّا لَا يُرَى إلَّا بِظِلَالِهَا

فَهِيَ الحَيَاةُ

وَدُونَهَا الدُّنْيَا ظُلُمَاتٌ

فَيَارَبّ لِقَاءٌ أَبَدِيٌّ بِأُخْتِي

فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قُطُوفُهَا دَانِية

منذُ رَحِيلك

مُنذُ رَحِيلِك

غُرِسَ الحُزْنُ في صَدْرِي

وَأبَى أن يُنْتَزَع

والسَّمَاء من لَوعةِ الشَّجو

تُسْقِطُ دَمْعَهَا

مُنذُ رَحِيلِك

وأنا هشَّة

بَائِسة

مَكسُورَة

مُنْهَكَة

مُنطَفِئة

حَزِينَة

تَائِهَة

ضَائِعَة

منذُ رَحِيلِك

تَوقَفتِ البَلابلُ عن التَّغرِيد

والمِيَاه عن عَزفِ سِيمْفُونية الخَرِير

وفضاءُ قلبي قد ضَاقَ وَصَارَ مُنْسَحِقًا

والضَّحكة بَعدَكِ أَصْبَحَت عُقُوقًا

والبُكاء بَعدَكِ أصبحَ سِرًّا لِرِضَاك

منذُ رَحِيلِك

قلبي يُنَادِيكِ

والرُّوح تُناجِيكِ

منذ رحيلك

أصْبَحتُ أحتَسِي من النَّهر المُتَوَهِّج بِالأوجَاعِ

وَأُسَامِرُ النُّجومَ في نَصَبٍ وَشَجَن

فَلم أعُد أعرِفُ لَيلي من نَهَارِي

ولا الشُّروق من الغُرُوب

لقَد غِبتِ يا نَبْضَ الرُّوح

وَجَميع الضَّحكات المتسرّبة من الَقلْب اضْمَحَلَّت

آهٍ

لقَد كُنتُ أحْسَبُ أنَّنِي للفُراقِ صَلدَاءَ صَبُورةً

ولكن دَمعُ عيْنِي كَذّبَنِي

فالبِدَّمعِ أيقَنتُ أنّني فَقَدتُ فُصُولَ فُؤَادي

والدُّنيا أصبَحَت من بعدِك جفاءً

يامَنَارَةَ حَيَاتِي

منذُ رَحَلتِ

صَارَت الأيَامُ بعدَكِ كُلُّهَا أَشجَان

بَعدَ أفرَاحٍ

لكِن سَأجعَلُ مِنَ الصَّبرِ الجَمِيل عَلاجًا

فَأنَا لَنْ أنسَاكِ حتَّى تُفَارِقَ مُهجَتِي جسدي ويُوارى الثَّرى

بَعْدَ الغياب

بَعدَ الغِيَاب

قلبٌ مُنكَسِر

ونَفْسٌ عَارِيَة

صَرَخَاتٌ تَعْلُو

وَرُوحٌ عاثِرةٌ

بَعدَ الغِيَاب

غَليانٌ

بُركانٌ بالفؤادِ

وَأحزَانٌ تَسكُنُ الوُجدَان

هَذَا مَا فَعَلَهُ الغِيَاب

الغِيَاب الغِيَاب الغِيَاب

فَلتَبكِ خليصة على علجية

ويَحِقُّ لَهَا البُكَاء

فالدُّنيا غدّارةٌ غَرَّارَة

فَلتُمزِّق نَفْسَها

آهٍ آهٍ آهٍ

لا يزالُ وَجَعٌ في فؤَادِي

يَقْطَعُ أنْفَاسي

ويَدهَسُ خاطِرِي

ويشُلُّ جَوارِحِي

بَعدَ الغِيَاب

نَبَضَات قَلبِي تَقُول

أُختَاه أُختَاه أُختَاه

لَو كَانَ قَلبِي جَبَلًا لاندَثَر

ولَو كَانَت رُوحِي أَرضًا لَأخرَجَت أثقَالَهَا

أختاه أختاه أختاه

مَا أَقسَى الحَيَاةَ دُونَك

فَأَقدَامٌ بِلَونِ الشَّجَن تَسحَقُنِي

ودُمُوعٌ أَلهَبَت جَفْنِي

بَعدَ الغِيَاب

أصْبَحتُ شَرِيدَة

أجُوبُ مُدُنَ الشَّوقِ والحَنِين

أطُوفُ بِقَبرِ الحَبِيبَة

أَلَمِلِمُ تُربَتَهُ وأمْسَحُ بِهَا رُوحِي.

كَيْفَ أنْسَى

قَالُوا: سَيُنْسِكِ الزَّمَان وجَعَ غِيابِهَا

فَقُلتُ:أحقيقةٌ أم خَيَال

ماتَنطِقُ به ألسِنَتُكُم

كيف أنسَى؟

من بقَلبِها حَبَتنِي

وأحبَّتنِي حتَّى مُلِئْتُ دَلَالًا

كَيفَ أنسَى؟

وكُلَّما ذُكِرَت قلبي يَتَفطَّر

والرُّوح في شَوقِها وقَّاد

كَيفَ أنسَى؟

من لم ألقَ في حَنَانِها مِثَالًا

كَيفَ أنسَى؟

وأنَا كَالطِّفلَةِ حِينَ تَرَى أنَّ الحَنَانَ بَعدَ أمِّهَا مُحَالٌ

كَيفَ أَنسَى؟

فالنَّجمَة هِيَ والثُّرَيَّا

كَيفَ أَنْسَى؟

والعُمرُ يَنقَضِي

والشَّوقُ يَزدَاد

كيفَ كيفَ كيفَ؟

أنسَى أُخْتِي

والقَلبُ يَعتادُ كُلَّ شيءٍ

إلَّا غيابَها لا يَعتَاد

فإنِّي أحِبُّها في حَيَاتِها ومَمَاتِها

أحِبُّها مِلءَ الكَوْنِ

ويَا لَيتَ الكَونَ يَكْفِي

الدَّارُ لِفَقدِك أصْبَحَت قبرًا عَالِي الجُدران

الدَّارُ لِفقدِكِ أُختَاه

أصْبَحتْ قَبْرًا عَالِيَ الجُدرَان

والفؤادُ صَارَ قَبْرًا لِروحِك

والتُّرابُ غِطَاءٌ لجثمَانِك

إنْ كُنتُ لا أقوَى عَلَى بُعدِكِ يومًا

فَكَيفَ لِي مَعَ مُقبِلِ السِّنِين

أختَاه

فَمَن للفؤادِ إذَا جُرِحَ يَضُمُّه

ومن يَمسَحُ أَدْمُعَ شَرَايِينِي

صِرتِ تَحتَ اللَّحد

والدُّعاء مؤنِسُك

فأنتِ جاورتِ ربًّا رَحِيمًا

يَجزيكِي رَوضَةً مِن رِيَاضِ الجَنَّة

وأنَا الوَحِيدَة فَوقَ التُّرَاب

لا أُنْسَ لي

ولا مُتكَئًا أشدُّ بِه أزرِي

فرُحْماكَ يااللّٰه لَيسَ لِي غَيرُكَ

في كُربَتِي

فقد رحَلَت الّتِي تَبكِي بِلا دَمعٍ

إذا سَمِعَت الأنِينَ يَجُولُ بِوجدَانِي

رَحَلَت الَّتِي تُضَحِّي وَتَرتَمِي فِي النَّارِ لأَجلِي

رَحَلَت الّتِي لا يَغْمَضُ لَهَا جَفن

إذا دَمَعَت أجْفَانِي

رحَلَت الّتِي تَرَى الدُّنيا فَانِية زَائِلَةً

آهٍ

فألمُ دَارِ البَلاء أضْنَانِي

نَبْضُ الرُّوح

أُخْتاه

يَا نَبَضَ رُوحِي

يا أوَّلَ ياسَمِينَة

وآخِرَ بَنَفسَجَة

ويا عُمرًا من الرَّيحَان

أُختَاه

لا لِباسًا يُدفئُ بَعدَ يَديكِ

ولا غَيثًا يَسقِني حنَانًا بعدَكِ

أختَاه

غِيَابُكِ أخْرَسَ لِسَانِي

وَجَعَلَ نَخْلَةَ صَبرِي تَمرةً عَطشَى

أختَاه

غيَابُكِ

أسكَنَ في حَنَايَا الرُّوحِ الآهَات

وعَزَفَ عَلَى قَلبِي أوْتَارَ الحُزن

وسَجَنَنِي فِي مِحْرابِ فَقدِك

وعلَّمنِي أن أتألّم لِوَحدِي

وأن أخرُجَ من المِحرابِ امرأةً أخرَى

ليسَت تِلكَ المَرأة الّتِي خرَّت على الأرضِ وتَبكِي حينَ صَعَدَت رُوحُكِ

للسَّمَاء

أُختاه

لا دَمعَ يُدَاوِي جُرحَ قَلبِي

ويُخمِدُ نارَه

ولا كلِماتٍ تُوقِفُ الحَنِينَ مِن الارتِجَاف

إلَّا باحتِضَانِك حُضنًا طَوِيلًا دَافئًا

يَنزِعُ وِحشَةَ فِراقِكِ المُوجِعَة

سَيِّدةُ الإِبحَار

سَيِّدَةُ الإبحَارِ

يا أُختِي

يا غَالِيتي

جاءَتِ الرِّيَّاحُ تَهُزُّ السَّفِينَة

أمسَكْتُ القِيادَة

وأنا لاأعرِفُ شَيئًا عنِ الإبْحَارِ

فَتَوَجَّهتُ بالدَّفَّةِ نَحوَ العَاصِفَة

لكِنَّك يا غَالِيَتِي

خَبيرَةٌ بالبَحرِ والعَواصِف

تَعرِفينَ كَيْفَ تُواجِهَين الشِّرَاع

وتُوجِّهين القَارِب

وأنا كنْتُ أُراقِبُ

أُعْجَبُ بِهُدوئِك

واطْمَأننتُ أنَّني بخير

رغم أنَّني لا أعرِفُ السِّبَاحَة

فَأَنتِ مَعِي

وأنتِ الأمَان

حتَّى أدْخَلتِني غُرفَة القِيَادَة

وجَعَلْتِنِي قُبْطَانًا علَى سَفِينَةِ الحيَاة

لكِن أتى إعْصَارُ المَوت

فتَلاطَمَتِ الأَمواَج

وانكَسَرَت الأشرِعَة

فقَدْتُ البَوصَلَة

مطَرٌ غزِيرٌ منَ الشَّجن

ضَبَابٌ يَغْشَى بَصَرِي

الرِّياحُ قويَّة

آتى إِعْصَارُ المَوت

فَرَمَاني بِسِهامٍ

وأَخَذَكِ مِنِّي ووَضَعَكِ بينَ أحْضَانِ القَبر

فأصبَحَ الدَّربُ مُظلِمًا

وآتى اللّيلُ

وصَارَ حَالِكًا

لا نجْمةً تُنِيرُهُ

يا لَهَا من ليلةٍ باكِيةٍ حَزِينَة

لَمْ أَرَ بَعْدَهَا شُرُوقا

ماذا أقول؟

لا الصَّبْرُ يَمسَحُ دَمعَةَ العَين
ولا الدَّهرُ يُبرئُ مِن لَوعَةِ الغِيَاب
ولا العُمرُ بعدَكِ في سلْوَةٍ
أُختاهُ يا غَاليتِي
خَانَنِي لِسَانِي فِي رِثائِك
والقلبُ الجَريحُ ما طَاوَعَهُ لِسَان
ومَا طَاوعَ اليَرَاعُ أَنَامِلِي
فَبَحرُ المِداد تَاهَ في شَاطِئِ أحزانِي
مَاذا أقُول
فَهَل حُرُوفِي تَنصِفُ أُخْتًا غَالية؟
رَبَّتنِي وأَكرَمَتنِي وعَلَّمتنِي
كلَّا وألفُ كلَّا
فالحُرُوفُ لا تَفِيهَا حقَّها
فَلَو يَتَعَاقَبُ الأدْهَارُ
لَم أَكُن لِأُنصِفَ من رَعَتْنِي
أختاه
رَحِيلُكِ مزَّق قلبي
وفرَّق اللَّمة البهيَّة

والشَّملَ اللَّفيف

ماذا وماذا أقولُ عن الدُّنيا؟

إذا اختَفَت مِنهَا نَجمَةٌ فِي دُجَى الأَكْفَانِ

فالأمانُ قد غاَدَر

والهَنَاءُ قد غَاب

والرُّوح قد تُرِكَت عندَ قَبرِ الحَبِيبَة

ماذا أقول؟

وفُؤادِي تَكَاثَرَت عَلَيهِ الجِرَاح

فَمَا عادَ يَدرِي بِأيِّ أسًى يَبُوح

وعن بَيتٍ تَصدَّع فيه قلبِي قبلَ الجُدرَان

تِلكَ الجُدرَان المُكتَظَّة بالآلَام

لغيابِ غَالَيتِي

فيَا وَيحَ الدُّنيا بِلَا وُجُودِك

ووَيلٌ لِهَذَا الكَونِ كَم سَيُعَانِي

لا لا تَبكُوا مَعِي

ابكُوا عَلى هذِه الأرض

لأنَّهَا فَقَدَت نُورًا يَمشِي عَلَيهَا

وابكُوا عَلَى هَذِه الدُّنيَا

لأنَّهَا خَسِرَت عَظِيمَةَ الشَّأن.

تَبتَسمُ أختي

تَبتَسِمُ عَلجِية

فَتُزَقزِقُ العَصَافِير

وتَزهُو البَسَاتِين

ويَضحَكُ الرَّبِيع

وَتَتَفتَّحُ كُلُّ الزُّهُور

وَيَعلُو هَدِيلُ الحَمَامِ

تَبْتَسِمُ عَلجية

فَيَنْفَلِتُ الشَّفقُ من شَفَتَيهَا

ويُصبِحُ فَجرًا

وَيَكتَمِلُ فَرَحُ النَّهَار

تَعْبَسُ عَلْجِية

فَيَغِيبُ الرَّبِيع

ويَقِفُ النَّسيمُ العَلِيل

ولا تُشرِقُ شَمسُ الصَّبَاح

تَبْكِي عَلجِيَة

فَتنهَمِرُ الدُّمُوع من مُقلَتي

وتَصِلُ رُوحِي إلى التَّراقِي

ويَحزَنُ الكونُ ويُصبِحُ بلا مَعنَى

أُختاه

يا نَجمَةَ الثُّريا

يا طَيِّبَة

يا سَعَادةَ حَيَاتِي وبَهجَتِي

أسألُ اللّٰه ربَّ العَرشِ العَظِيمِ

أن يُنْزِلَكِ مَنَازِلَ الأنبِيَاء

والشُّهَدَاءِ والصِّدِّيقِين

وأن يَجعَلَكِ مِن أَصحَابِ اليَمين

ويُسكِنَكِ اللَّهُم في عِلِّيين.

قضَاءُ اللّٰه

غَابَت عنِّي حَبِيبَتي

فَيَا وَحشَتَاه

غَادَرَتنِي وتَرَكَتنِي حَزِينَة

ولم يَبْقَ لي سِوى دَمْعُ عَينِي

وكُلُّ مَا كَانَ كأَنَّه لمْ يَكُن

وكُلُّ ما وَجِلتُ منه قد أتَى

فيَا رَبّ هَذا قَضاؤُكَ

فَأَنتَ المُعطي وأنتَ الآخِذ

لا إله إلّا أنت مَالِكُ المُلك

يا ربّ هذا ابتلاؤُك في أعزِّ أُختٍ كانَت لي ضياءً أُبصِرُ بِه

فارزُقنِي الثَّبَاتَ

لِأربِطَ على قلبِي ليَصبِر

وَنَعِيمًا لها لا ينقَطِع

اقْتَرِب أيُّها الطَّيف

كُلَّما فَتَّشتُ عنكِ

في دُجَى الأيَامِ

وفي دُرُوب الحَيَاة

لَمْ أَجِد إلّا ذِكرَيَاتِكِ

المُحبَّبَةَ في حَنَايا الفُؤَاد

وَطَيفَكِ في كُلِّ زَوَايَا البَيت

فَاقتَرِب أيُّهَا الطَّيف

لأُلَامِسَ وَجهَك

فَلَم يَبقَ لي سِوَى الطَّيف

فأنَا الغَرِيبَةُ

ليسَ لي سِوَى الأَحزَان

وَجِرَاحٍ شَرِيدَةٍ مُضطَرِبَة

هَيَّا ادنُو أيُّها الطَّيف

لِأُقَبِّلَ جَبِينَ أُختِي

وأحْتَمِي بِحُضنِهَا الدَّافِئِ

فَفي صَدْرِي رُعْبٌ شَدِيد

أَنتِ على قَيدِ الحياةِ

أَنتِ على قَيدِ الحَياة
أرَاكِ في نُورِ الشَّمس
عِندَمَا تَسْطَعُ بِنُورِهَا
أَراكِ
في ذِكراكِ
في وَصَايَاكِ
في جميعِ الأشياءِ
كُنتِ يا أُختاه
سَيِّدةَ النُّصَّاحِ
تَروِينَ قلبِي بالوَصايَا
وتُدَاوِين جِراحِي
كُنتِ
لَبِيبةً إذا انْغَلقَ بَاب
جاءَ منها الجَوابُ كَالمِفْتَاحِ
نَادِرَةٌ أنتِ
يا رَيحَانَةَ قلبي
ويا حَسَنَةَ الخُلُقِ

فَسَلامٌ عَلَيكِ

في كُلِّ لَيل

وصَبَاحٍ

وعَدَدَ مَا تَفتَّحتِ البَرَاعِم

وتغنَّت بِه الطُّيُور

سَلامٌ عَلَيكِ

ما شَعَّ نُورٌ

وأُنِيرَت بِه الدُّنيا

سَلَامٌ عليكِ

في كُلِّ حين

يا أيَّتُها النَّجمةُ الثُّريَّا.

فِي تُربَةِ القبرِ

في تُربَةِ القَبرِ
دَفَنتُ بِرَّ الحَنَان
وَسَالَت من عَينِي دِمَاءُ أَحزَانِي
فَمَا أَقْسَى الوَجَعَ الَّذي يُصَاحِبُنِي
لغِيَاب أُمِّي
غَدَت أيَامِي بَعدَهَا حُرقَةً وَدَيجورًا
وَباتَ نَهَارِي فِي ثِيابِ سَوَاد
ولَيلي غَصَّةً
ووِسادَتِي شَوكٌ وَدَمْعٌ حَارِق
أُمَّاه
غِبتِ عن عُيُونِي لِسِنِين
والقلبُ بَعدَكِ أصبَحَ هَشِيمًا
والرُّوحُ للسُّمُومِ لاتَزَالُ تَعتَصِر
أُمَّاه أمَّاه أمَّاه
غِبتِ وخَيَالُكِ لم يُغادِر مُقلَتي
فأنا أراكِ في كُلِّ رُكنٍ من بَيتِنا
والشَّوقُ والحنينُ يُمزِّقَانِ أشلائِي

آهِ وألف آهِ

غِبتِ وتَرَكتِ نَارًا في الأورِدَة تُسعَّر

آهٍ ويَا حَسرَتَاه

فالشَّوقُ يَزدَادُ يَكادُ يَقتُلُني

وَجَوَارِحِي لِفَقدِكِ تَداعَت أنِينًا وَألَمًا

لكنّ إيمَانِي بِقَضَاءِ اللّٰه وَقَدَرِه

سَيَكُونُ مِفتَاحَ صَبْر لِقَلبِي

وأسألُ اللّٰه أن يُسكِنَ رُوحَكِ الطَّاهِرَة جَنَّاتِ النَّعِيم

مَرَاكِبُ الحَنِين

مِن ثَوبِ كَلِمَاتِي
سَأحِيكُ مَرَاكِبَ مِن حَنِين
سَأُبْحِرُ بِهَا على شَواطِئِ الأحزان
لِيَقِفَ ما في الكَونِ أَجمَع
وَيقرؤُوا حُرُوفي
لِيَعرِفُوا كَم الحُزنُ تَغَلغَل في أعمَاقِي
لفقدِكِ أمَّاه
سَأغرِقُ فِي بَحرِ أحزانِي
وتُنقِذُنِي الأمواجُ المُتَلاطِمَة
وتَرمِينِي في بَسَاتِين بقنَادِيلَ مُضِيئَة
حينَهَا سَيَسعَدُ فُؤادِي
وتَبرَأُ رُوحِي لِلُقياكِ في جنَّات النَّعِيم.

انهَمِر يا قلَم

انهَمِر يَاقَلَم بِحِبرِك

واكتُب مِن الحُزنِ أنهَارًا

لِرَحِيلِ أمّي غَالِيَتي

رَحَلَت الغَاليَة

وَبَقَيَت زَوَايَا البَيتِ تَعجُّ بالشَّوق

زوَايَا تَجلِبُ أَطْيَافَ الرَّاحِلِين

وأحَادِيثَهُم

وَأَصوَاتٍ عَذبَةً لِأَبهى الذّكرَيات

تُرَى

أَهُنَاكَ بَعدُ آَلام

أو راحَةٌ وَسَكِينة؟

أُمَّاه

فَارَقتِنَا فِي غَفلَةٍ

تَرَكتِنا في حسْرَة

وفي حيرَة

لا يَشفَعُ فيها الرَّجَاء

أُمَّاه

سِنِينٌ مَرَّت عَلَى غِيَابِك

والشَّوقُ لا يَزالُ يَهُزُّني إليكِ

آهٍ ياأُمَّاه

رحَلتِ وتَرَكتِ لي بَعضَ جَسَد

وبعضَ أنْفَاس

رحَلْتِ ويشاءُ القدر أن أَخُطَّ لِأجلِكِ رِثَاء

رَحَلتِ وتركتِ وجهي بائِسًا يائِسًا

لَم أَعُد أملِكُ سِوَى حُرُوفٍ أَهذِي بِهَا

رَحَلْتِ ورحلَ معكِ كُلُّ العُمر

لم يبقَ سِوى ارتِعَاشَاتِ نَفسِي

تَعصِفُ بِهَا عوَاصِفُ الانكِسار

وبِضعِ أيَّامٍ وسِنِين

أمضِيهَا مُناجِيةً الرَّحْمَن حتَّى ألقاكِ في جنَّةِ الخُلد

لِصَبْرِ قَلبِي

لِصَبرِ قَلبِي علَى فَقدِكِ أُمَّاه
أُغَالِبُ اللَّيلَ الحَزينَ الطَّوِيل
والأوجَاع مهْمَا طَغَت
أغالبُ مُرَّ الزَّمَان وصَرخَةَ الفُؤاد
وَمُقْلَةً سَهِرَت في الظَّلام
ودُمُوعًا جَرَت فِي المآقِي
ولكن
أَيُّ صَبرٍ
وقد ملَّ منِّي
فمُنذ رَحَلتِ
شَاخَت الإبتسَامَة
وسَادَ الصَّمتُ لسَاني
آهٍ آهٍ آه
فَقَلبِي أَصبَحَ يَتمَزَّقُ إرَبًا إرَبًا
وظَهري تَقوَّس وانحَنَى
ونَهرُ أمانيَّ جفَّ
وَصَبري جفَّت أَبْحُرُه

أمَّاه

منذُ غيَابِك

أجنِحَتي بُتِرَت وكُسِرَت

وليلِي أصبحَ طَويلًا

وحُزْنِي ثقِيلًا

ودَمعٌ يسِيل

وذِكرى تَلُوح

ورُوحٌ تَنوح

وفؤَادي أصابَتْهُ الحُمَّى

وأصبحَ يَتَقَيَّأُ وَجَعًا

وَأصبحَ الطَّلَبُ مِنَ الرَّحْمَنِ الصَّبرَ الجَمِيل.

ذِكرى الحبيبة

تَاهَ الكَلَامُ وتَبعثَرَت الحُروف

وَمَضَى من الأوجَاعِ سِنِينًا

فاليَومَ ذِكرَى وفَاةِ الحَبِيبَة

والجَمِيعُ مِنْ حَولِي نِيَام

فاذْهَبي أَيَّتُها الفَراشَة

إلَى حَيْثُ قَبرِ أُمِّي

اِلْمِسِيهِ وَعُودِي إلَيَّ

والمِسينِي

لِتَهدَأَ روحي

وكيفَ تهدَأُ رُوحِي؟

وَعَاصِفَاتُ الحُزْنِ بقَلبي

لم تَهدَأ

فَهِي كَالبُركَانِ في ضُلوعِي

كيفَ كيفَ كيفَ؟

تهدَأ

وقلبي لا يَزَالُ يَبكِي

لِحَبِيبَةٍ ضَمَّها الكَفَنُ والتُّراب

آهٍ

ماأقسَاهَا من رِحلَة

فالشَّوقُ يُضْنِينِي

والحنينُ يُؤذِينِي

تَعِبتُ أنا

ويُخبِرُني الدَّمعُ بأنِّي تَعِبت

تَعِبتُ تَعِبتُ تَعِبتُ

فالآهَاتُ في حَنَايَا الرُّوحِ تَسكُن

أَكَادُ أَمُوتُ حِينَ الآهُ تَنعَزِفُ

فَلا دَمعَ يُدَاوي هذه الجِراح

إلَّا بِلِقاءٍ في جنَّات النَّعِيم

أفتَقِدُكِ أُمَّاه

أَفتَقِدُكِ أمَّاه
في هَذِهِ اللَّحظَة
وَفي اللّحَظَاتِ القَادِمَة
لم أعُدْ أُتقِنُ فنَّ الحُرُوف
فالحُروف البهيَّة غَابَت
أفتَقِدُك أمّاه
وكيف لا أفتَقدُكِ؟
والشَّوق يتسرَّب في عُرُوقِي
وكَأنَّه أكوَامُ سُحُبٍ غَائِمَة
بِطُعمِ الشَّجو
الألَمِ
وبِطُعمِ الحَرِيق
تمُرُّ حَيَاتِي دُونك
والذِكرياتُ على وشكِ أن تَقتُلنِي
آه
على غِيَابِك
ما أمرَّه!
وما أقسَاه
فقد شتَّتَ كيانِي
لكن سأرضى بقضاءِ الله حَزِينَة وأمُوت.

ظِلَالُ الصَّبرِ

أَيُّهَا الجُرحُ الدَّامِي فِي قَلبِي

قِفْ بُرهَةً

وارأَف بِحَالِي

وأرسِل شُعَاعَك القوِّيَّ لِفُؤادِي المُنْفَطِر

الَّذِي يَضمُّه الشَّجَنُ

ويَفتَرِسُهُ اليَأس

ويُعَذِّبُهُ الألم

قِف أرجُوك

فَفِي صَدرِي جُذْوَةٌ مُشتَعِلَة

وَمُقلَةٌ تَذرِفُ دُمُوعَ اللَّوعَة

فأنا قد فارَقْتُ أمِّي غَالِيتِي

قِف أرجُوك

وانثُرنِي في ظِلَالِ الصَّبر

فيَا ظِلَالَ الصَّبرِ

قِفِي بُرهَةً

وظَلِّلي تَحتَ جنَاحَيكِ رُوحِي الحَزِينَة

ويَاطَيفَ الوَجَعِ في مِرآةِ الحيَاة

قِف

وانظُر للحزينَة الَّتِي ازدَحَمَت في رَأسِها ذِكرياتُ الغَائبةِ الحَاضِرَة

قِفْ أرجُوك

وشَارِكْهَا

حُزنَهَا

لَوعَتهَا

وَبُؤسَهَا

واشتِيَاقَها للغَالِيَة

الدُّنيا غدَّارة غرَّارة

من بَعدِكِ جِرَاحُ قَلبِي لَا تَطِيب فرَحِيلُكِ صَعبٌ

وفِراقُكِ أضْرَمَ جَمرَةً بِفُؤَادِي

أُمَّاه

مُقلَتي تَبكِي

والدَّمعُ مِدرَار

فأنتِ

بَرِيقُ الكَون

والدُّنيا بَعدَكِ ظَلامٌ

وَفَناءٌ

آهٍ يا دُنيا

كم أنتِ غدَّارة غرَّارة

لم أظنّ

أنَّ بحرَ الحَنَانِ سَيجِفّ

وجِدَارَ الأمان سَيَسقُط

وبالقَبرِ ستَأوِين

فَدُمتِي بِنَعِيمِ ربِّي حتَّى نلتَقِي

فِي غِيَابِك يا أبي

في غيَابِكَ أبِي
يُبَدِّدُنِي الشَّوق
فَوقَ الجِبَال
وتَحْتَ البِحَار
ويَذرُونِي مَعَ هُبُوبِ الرِّيَاح
وَفِي عَاصِفَاتِ الغُبَارِ
وَيزرَعُنِي في السُّحُب الثِّقَال
لأحصُدَ غيثًا مِدرَارًا منَ الأشجَان
في غِيَابِكَ يا أَبِي
يُقعِدُني الشَّوقُ فِي الشَّفَقِ المُحمَّر
ليكُونَ ليْلِي ونَهَاري ظَلَامًا
فيا آهٍ على العذاب المُستَوطِنِ في قَلبِي وَرُوحِي
ويا حسرَتَاهُ عَلَى المنيَّة الَّتي خَطَفَت رَوضَتِي

مَاذَا أَقُولُ

مَاذا أَقُولُ عن مُبَعثِرِ أشجَانِي
وناصِحِي في الخَفَاءِ والعَلَن
ماذَا أقُول؟
وماذَا أتكلَّم؟
يا أبي
فَمِنكَ ابتَدَى فَخرِي وجَاهِي واسمِي
فأنتَ مَنبَعُ المُرتَقِى والشَّأن
وَفُؤادُكَ الصَّافِي حَدِيقَةُ سَعَادَتِي
فَهُوَ بالدُّعَاءِ قَد حَمَانِي
وهُوَ الّذِي أغْدَقَ عَلَى حَيَاتِي حُبًّا
فَسَعَادَةُ قَلبِي أنَّهُ ربَّانِي
وَتَعِبَ لأسعَد
وهُوَ الّذي سَقَانِي بِحُسنِ الأخلَاق
وإن خِفتُ من غَدرِ الزَّمَان
طَوَّقنِي بأمانه وَنُصْحِه
آهٍ
لَقَد غَيَّبَ القَدَرُ عَنِّي صَقرًا
خَالِص الإيمَان
وقَد رَحَلَ الّذي الخَيرُ من عينَيه يَشِعُّ دونَ عَنَاءٍ
فقد كَانَ المُروءَةَ والرُّجُولةَ والشّهَامة والشَّجَاعَة بَعدَهُ فَانِيَة.

صَبرِي عن بَلْسَمِ جِراحِي تبَاعَد

ماعادَ الزَّمان زَمَانًا
وَبَلْسَمُ جُروحِي قدْ غَابَ وَرَحَل
أَيُّ زَمَانٍ هَذَا؟!
والّذي يُدَاوِي جِراحِي ويُضمِّدُها ضَمَّهُ القَبر
فكَيفَ أصْبِرُ عَلَى غِيَابِك
وَصَبرِي عنكَ قد تَباعَد
فلَا تَلُمنِي يا أبي
إذَا أسرَجْتُ خيلَ الذّكرِيَات
فَمِن ثَوبِ الوَقَارِ كَسَوتَنِي
وَفَوقَ رأسي رَفَعت تَاجَ افْتِخَار
لا تَلُمنِي يا أبِي
فَفِي الفؤَادِ شَيءٌ لايُدَارَى
ولَن يَمحُوهُ مَاحٍ
فَغِيَابُكَ خَطْبٌ عَظِيم
ويالَهُ من خَطْبٍ مُروِّع
ويالَها من مُصِيبةٍ عُظْمَى
ويَالَهُ من يُتمٍ شَلَّ ضُلُوعِي
فَكَيْفَ أنْسَى الغَالي

ولَا أَزَالُ أكَابِدُ عَنَاءَ الحُزْنِ عَليه

وَبُكَاءَ من حَمَلُوه على أكتافِهِم

لا يَزَالُ يَصْدَعُ في أُذُنِي

وَأوراَقُ الخَريفِ تَناثَرَتْ

لِحُزنِهَا عَلَيه

كَيفَ أَنسَى

من كانَ بَدرًا؟

أضَاءَ بِنُورِهِ كُلَّ الدُّنيا

وَمَنْ كَانَ سَبِيلًا لِدُرُوبِ نَجَاحِي

ومَن كَانَ حَيَاتِي وارتِيَاحِي

كيف كَيفَ كَيفَ؟

أنسَى مُهجَةً طَاهِرَةً فَارَقَت جَسَدَهَا

وَصَارَت في جِوَارِ الرَّحمنِ

فيا رَب حوِّل قبرَهُ إلى جِنَانٍ فَسِيح

فلَك يا غَالِي دُعَاءٌ وَافِر الإلحَاحِ

خَيرُ الدُّعاءِ مَادمتُ حيَّة

القلب من رحيل أبي فِي وجلٍ

الشَّجَنُ فِي المُهْجَة أرْسَى فُلكَه

والفُؤَادُ من غِيَابِ أبِي فِي كَمَدٍ

والقَلبُ من رَحِيلِهِ فِي وَجَلٍ

والرُّوحُ من لَوعَةِ الشَّجوِ فِي عَنَاءٍ

يَبكِيكَ البَحرُ واليَابِسَة

الأشجَارُ والأغصَان

السَّمَواتُ والأرض

يَبكِيكَ مَصْحَفٌ كُنتَ تُجَالِسَه

تَبْكِيكَ العَادِيَات والمَاعُون

مَا أوجَعَ المَنيَّة

وما أوجَعَ الغِيَاب

سَتَظَلُّ عَينِي تَسْكُبُ دَمْعًا على قَلبٍ أنْقَى من الثَّلجِ

على حَبِيبٍ رَحَل

وَلَم أَعُدْ أشدُّ بِهِ أزْرِي

طُيُورُ الأحزَانِ نَاحَت

مَوجُ الزَّمَانِ اشتدَّ كَالأطوَاد
آهَاتٌ
كَدَرٌ
انْسِحَاقٌ
وَجَعٌ
كيفَ لَا يَكُونُ وَجَعًا
وفِرَاقُ أبِي الغَالِي مُوجِعٌ
بَلْ إنَّهُ نَزْفٌ فِي القَلْب
وحُرْقَةٌ في الكَبِد
كَيفَ لا يَكُونُ وَجَعًا
والفُؤادُ كَسَاهُ ثَوْبُ حِدَاد
والعَبَرَاتُ تَهَشَّمَت
والرُّوحُ تَنَاثَرَت
وطُيُورُ الأَحْزَانِ نَاحَت
وغَطَّت مآقِيهَا الدُّموعُ
وفي بَحر الصَّمتِ أسْبَح
وَفِي أَنْهَارِ الذّكرَيَات أَتِيهُ
وَكَيفَ لاأَتِيهُ
وَجِرَاحٌ فَوقَ أيَامِي تَنزِف
وَقَلبي لِغِيَابِكَ يا غَالِي
يَحْتَرِقُ أشَدَّ الاحتِرَاق

مَاتَ الشُّجَاع

قَلْبِي جَرِيحٌ
ورُوحِي بالحُزنِ امْتلَأَت
أضْلُعِي نَعشٌ
وَدَمْعٌ على الخَدَّينِ مِدْرَارٌ
فَقَدْ مَاتَ الشُّجَاع
الَّذي لَوْ أمْطَرَت السَّماء ذَهَبًا
وأخْرَجَتِ الأرضُ أَلْمَاسًا
لاشَيءَ يُعَادِلُ وُجُودَه
مَاتَ الشُّجاع
الَّذي دُونَه العِيدُ هَمٌّ وغمٌّ
فحَتَّى لَيَالِي الدُّنيَا تُرثِي بَدْرَها
آهٍ
كم مِنَ الآهَاتِ سَكَنَت فُؤَادِي
وَتَجَمَّعَت فِي دَاخِلِي أسرابُ شَجْو
وهُمُومٌ ثَقِيلَاتٌ أحْرَقَتنِي
وَخَلَّفَت دَمَارًا
مَوجَاتُ حُزن
وَضَيقٌ شَدِيد

مَاتَ الغَالِي

وَتَرَكَ فِي القَلبِ أوْتَارًا

تَعْزِفُ أَلْحَانَ الحُزنِ الأَبَدِيّ

فهذَا حُكْمُ اللهِ نُطِيعُهُ

وَمَا السَّعَادَةُ إلَّا فِي الدَّار الأَبَدِيَة

لِغِيَابِكَ أَبِي

لِغِيابِك يَا أبي

العينُ تُسَامِرُ الجفَا

والنَّارُ بِجَوْفِي وَقَّادَة

ولا تنْطَفِئ

والقَلبُ يَتمزَّق

والشَّوقُ إلَيْكَ يَكَادُ يَقتُلُنِي

والحيَاةُ بَعدَكَ كَدَرٌ وَهَمٌّ

آهٍ يَا أَبِي

فَسُقْمُ الغِيَابِ لَا بَلْسَمَ له

إلَّا بُكاءُ عيْنِي

فَرَحِمَكَ اللّٰه وبالفِردَوسِ أنْزَلَك

كَيْفَ أنْسَاكَ

كيفَ أنسَاكَ
يَا غَالِي
وَكُلُّ شَفَقٍ يُذَكِّرُنِي بِفَاجِعَةِ مَوتِك
فَشَفَقَ ذَاتَ مَسَاءٍ
انْطَفَأَ مِصْبَاحِي
واخْتَلَجَ الضِّيَاء
وَلَمْ يَعُدْ للوُجُودِ وُجُودٌ
وللقَلْبِ نَبْضٌ
وللدَّمِ مَجْرَى
بَحْرُ الأمانِ جفَّ
وَأُسْطُورَةُ النُّصْحِ والإرْشَادِ غَابت
كيْفَ أَرثِيكَ يا أبي بِالحُرُوف
وَحُرُوفِي مَكسُورَةُ الجَنَاح
كَيْفَ أَبْكِيكَ والدَّمعُ جَفّ
كيفَ تَعْلُو ابتِسَامة عَلَى ثَغْرِي
وَأنْتَ لَسْتَ مَعِي
كَيفَ لا أُسَلِّمُ مُهْجَتِي للنُّوَاح
وفُؤَادي للتَّمزّقِ حُزْنًا
وقد غَابَ الغَالِي تَحْتَ الثَّرَى.